

منديل الموت في جيبى

"إلى محمود درويش"

متين فندقجي

ترجمة: عبدالقادر عبدلي

منديل الموت في جيبى

١

من نور يطوّف في جسد قنديل

حلّقت بجناحي حدأة

في اللّازمان واللامكان واللاوطن.

ألّبت أجساد الأحرف الساحرة

لغتك المشغولة بالحياة، غير المألوفة لأحد

أذكر ثانية قولك:

"أموت".

مثلاً، عندما يرتدي البحر الميت
شمسا مشرقة من فراش موتك،
عصرَ زمنٍ معطاء يؤدي إلى الشارع،
ونلقي الشعر الذي يجوب في ظل لغتين
لأنفسنا من جهة، وأحدنا للآخر من جهة أخرى
أذكر ثانية قولك:
"أموت".

٢

إذا كان لا بد من تذكرك
فبعد ظهيرة يوم من آب،
حيث ستغيب الشمس
ونحن مازلنا جالسين
ستقول ريتا:
الخمير آية الماضي الخالدة،
هل نشرب؟ لنشرب
"ها هي رام الله خلف الجبل"
نعم، "الآلهة تسبح في الحبر خلف الجبل"
أذكر ثانية قولك:
"أموت".

٣

نكمل حديثنا من حيث توقفنا،
يا لأحلامنا الخارجة من المخدة،
منذ كم ألف عام تغوصين
في قميص البوسفور الأزرق
كما كنتِ تحت التراب
وأنتِ تنظرين من (قاليون)
"هذا يعني أن ناظمَ تسرب إلى البحر الأسود
من هذا الجسد الدقيق،
جسد الشاعر حلّق بشهية تلك الأمواج
وهو يحمل منديل الموت في جيبه.
تستطيع أن تغلق الأبواب بالمزاليح
ولكن هذا لا يمنع الكلام.
عليّ أن أتذكرك
أذكر ثانية قولك:
"أموت".

٤

"في نور الكلمات - وظلمة الزمن"
عشت،
في قلبك

بهشاشة العصفور، وطعم القهوة على لسانك

وهكذا وهكذا

كنت فجأة "في غربة السرير" هادئاً دون حس ،

بلون الزعر والميرمية...

تحمل صورة موتك في شعرك؛

أنكيدو الذي يتجول مرتدياً الأبيض

وعمره المنهوب.

أديت أغنية عرس

تنتهي باسم فلسطين،

حتى الخيول الوحيدة، حيث بداية التأريخ بالنسبة للنجوم

خجلت أمام شعرك

أذكر ثانية قولك:

"أموت".

٥

نحن في يوم عطلة آخر،

وكان شيئاً لم يعتق في قلوبنا

سنلتقي في باحة بيت أمي الحجرية لنشرب القهوة.

إنه حلم

هدفه،

أن يصعد الشعر على لسان الإنسان

أذكر ثانية قولك:

"أموت".

٦

بألم يلائم البحر

رسول الأحزان البعيدة

ها أنا ذا في البوسفور الذي أحب.

اليوم عطلة

في يدي سبع زنابق من غيوم سوداء

وغصن زيتون ذابل.

أذكر ثانية قولك:

"أموت".

٩ - ١٦ آب ٢٠٠٨

قبر درويش

١

أذكر يوم جئت معه،

-كان كلمة البدء-

قال بعينه التي لم تعد ترى جيداً:

ابني جاء من اسطنبول.

كان ذلك يوماً سعيداً، مع كثير من الأصدقاء

رافقنا الشعر

كهاء على ألسنتكم، ونار في أصابعكم /

القط الذي احتك برجلك ومر تواءً إرث منه،

زوجا الحمام اللذان على جدار السطح،

يعرفانه غاية المعرفة،

أنا أراقب معهما من هنا

أناساً لا أعرفهم،

يأتون كل يوم لزيارة قبره /

عاش وهو يفكر بغيره دائماً،

كان يتكلم لغة القرى المُفْرَغة،

والأطفال المقتولين،

والمدن والناس المحاصرين،

وكان حقيقياً كرائحة هذه القهوة،

وماركسياً حقيقياً، وهكذا مات.

بقيت الثورة التي يحلم بها طوال حياته

في المجاز.

دون أن يعرف أنه سيدفن على هذا الجبل

بعد سنتين.

يا لجمال الشعر في ذلك اليوم.

ذهابه كان موسماً للهجرة
من الشرق، من الغرب، من الجنوب،
ومن الأندلس.
مرت حدهات على أشجار البرتقال،
وحطت غيوم على أغصان الزيتون،
في أرض مولد الأنبياء هذه
وبرفقة نهر الناس الشبيه بالوحدة
عبرت جنازته.

-هل تعرف؟-

لا مكان للألم والوحدة
سوى قلب الإنسان
هناك وطنها الوحيد
تتنقل معه بين الأمكنة بصمت.

٢

للمدن النازفة
أزقة لن تندمل جراحها في أي وقت

وأنا أغلق خلفي باب البهو
بينما ألوان الشمس تذوب كالثلج
في هذه الأزقة.

عندما تصل إليّ
،وأنا مختبئ في هذه الأرض،
مثل هرم زجاجي.

رام الله برعم الأم والعنف
وتحت شمس لا تغيب سعيدة في أي زمن
أكلت من خبز أمك
الذي كنت تحن إليه دائماً أثناء حياتك.

جلبت لك غصن زيتون وغار
اعتادت الشمس عليهما. والآن،
أنا ذاهب إلى شارع إدوارد سعيد
لأشرب الميرمية والقهوة التي تحبها،
وكأسي نبيد في وقت من المساء.
سألقي هذا المساء تينك القصيدتين التي قرأتها لي قبل سنتين،
وأخرج إلى أزقة المدن النازفة ولن تندمل جراحها في أي وقت
لأتجول من دونك.

أهجيء الرمل ووجه العقرب

"هذا الوضع ينتشر مثل قطرة الدم ويغطينا"

غابرييل غارسيا ماركيث

أمامي الفرات المرتحل،

وفي هذا الخليج الصغير الذي ذهب إليه البرابرة

ألقي مراساتي.

التف دجلة "بشاله الأحمر"

وفي رقبته عقد من حصى الزمان

بقيت بعد لعبة نهب.

أفتح وجهي على حريق ساحة الفردوس

أجساد كهрман تتدفق من تحت الجسر

عودك مكسور، وصوته حزين

يترك جسدي لليلة "فاركا"*

أقطع خان مرجان، أور، أوروك

تخوض قدماي بالدم

يمضي التاريخ في مهد بابل الصغير

الليل فراش من جبل غليظ.

بابل بين السماء والأرض.
بابل أنت قفل ومفتاح في آن
يا حبيبة تعلن الحداد منذ آلاف السنين
الشمس تشرق على حجرك، وتغيب منه
على حجرك يكتمل قوس رسمه حمل وعنكبوت
على حجرك ينتظر الزيتون و ظل حملك الطويل شمسهما.

طوفان من جهة،
وسجدة من جهة
تفسخ لحم الزمان
وقميصك مبتل بالدم.
* فاركا: عاشق من بني شبيبة

تيلمون، لاغيث، غيرصو*
أشعر بموت آخر في حضني، وحلم قديم.
أشعر بدم آخر في فراشي، يتفصد ماءً
أشعر بمرآة أخرى على وجهها قناع ماء فضة
أشعر بك مرة أخرى، ويُقذف القمر إلى الليل.

* * *

مرة أخرى،
لا تسأل عن هذه الأيام الدموية الفارغة من العشق.

لا تسأل عن هذه الحضارة المزالة من غير الظلام.

لا تسأل عن هذه الباحة المقصوفة دون عجلة.

لا تسأل عن جذور التين والزقوم هذه، التي ليست من الماء.

لا تسأل عن هذه الجغرافية التي تزرع فيها الطلقات.

لا تسأل عن هذا الموت الذي يطوف من الشمال إلى الجنوب.

التاريخ المختبئ في شق عميق

الواصل بالنواح والسياح

وكل ما دونت ملاحظته للغد، لا تسأل عنه.

لا تسأل عن الأجساد "الذائبة في أكفان الحروف"

لا تسأل عن الجسد الذي لا تجده لتدفنه

من بغداد إلى بابل

لا تسأل عن "الأنبياء الذين ولدوا مع الموت"

من بغداد إلى بابل

ولاعن الماء الذي أغسل فيه يديّ ورجليّ،

وأطهر به.

من بغداد إلى بابل

عرفنا الرمل الذي سيخرج من حليب الأم وعين الطفل

عرفنا فراش الفلوجة ليلة نمنا

لا تسأل

من بغداد إلى بابل

عرفنا الرؤوس المحمولة على أسنة الرماح
مما تبقى من الأزمنة الغابرة
والدم الممزوج بالنفط
ومن الحسين إلى غرفتنا
ومن قابيل إلى مائدتنا.
وعرفنا مرة أخرى

* تيلمون، لاغيش، غيرصو: مدن سومرية

الإرث المنهوب
وأرض الطواف
وبرودة التاريخ في المشرحة
من بابل حتى يومنا، فلا تسأل.

طوفان هنا،
وصلاة هناك
تفسخ لحم الزمان
وقميصك مبتل بالدم.

* * *

إشارات منصوبة في أجساد الأطفال المقتولين
أكسر أختاماً شمعية
ولا أستطيع الوصول إليك.

من بابل إلى يومنا
جرى حليب المرضعة الأحمر الذي ترضعه للزمان
لا أستطيع إيجاد المعراج الأسود في عينيها
لا أستطيع الوصول إليك.
وفي أعماق المعراج الأسود في عينيك
أهجئ الرمل ووجه العقرب.
خوفي يتبع رائحة التوابل
ومعراج الخشب المحترق التف بالرمل والجراح
وفي معراج امرأتي تذوب الأختام الشمعية، فلا تسأل!

ها هو باب الباحة المنهوبة
وهذه هي بشرتك التي تفوح برائحة القهوة يا حبيبتي.

من بابل إلى يومنا
جنتك بعادة بقيت عندي منذ قديم الزمان
جرح آلاف الآبار التي تؤلم قلبي هنا.
جسد بغداد المثقوب
من الشرق إلى الغرب
ومن الشمال إلى الجنوب.

أنا قادم من الفراش الذي تعانق فيهِ الشمس الرمل.
ومن الطريق الذي فتحته الوحشية بالنار

يفوح برائحة القهوة والتوابل والميرمية.

من معراج عشقي الضائع في حضني

قادم منك وإليك.

سر البحر

ليست هذه رحلتي الأولى ولن تكون الأخيرة

أدرت القفل مرتين و من أجل وداع قصير

وضعت المفتاح الدافئ في جيبي. ها قد رحلتُ.

روعة هذا الجبل أبردت جسدك

أعرف الأشجار واحدة واحدة

والمخابئ بمناديلها البيضاء المخبأة

مسحت عرقي، تخيلت الكزبرة،

أسرني شوك السماق،

جذبتني رائحة الزعتر،

سحرني جمال الغزال

ابتكرت ألحانا لتغريد العصافير

صنعت دليلاً لدرب الأودية المحفوفة بالمخاطر

من أجلك، تغلبت على خوفي من هيبه هذا الجبل

وأتيت.

ظاناً أنّ لا نهاية هذا السهل هي جلدك
أعرف الأعشاب ورقة ورقة،
النباتات، و الحشرات، عبرت من زمن أزهار يرتقال
حملت استعارة غصن الزيتون في حقيبي
ورأيت خيانة الأفعى في أعشاشي
و شعرت برائحة أشجار اللوز، و نمت تحتها
عجنت طين النجوم و مزمت شفتي بالتراب المشقق
أرتديت مناخك ومشطت القمح بأصابعي
ظاناً أنّ لا أبدية هذا السهل في جلدك،
و لقد اجتزته و جئت.

طريق الحضارات كلها الذي يقود اليك
كان مكانك، تجولت ظانا الشواطئ ساقيك وذراعيك

عبرت همسك، المضاء بالشمس
و جئت، مقطوع الأنفاس، إلى ليلك
آه أيها البحر الذي جئت لي
أحل لغزك هنا،
ها أنت هنا،
أخيراً.

مكان للشوق

I

تعرف كيف تكون باحة كنيسة قديمة
وتعرف الزمن الذي يمضي في بوصلة مكسورة سُرق خزفها.

تعرف كيف تؤخذ النفس في باحة كتلك
وتعرف الخبز العفن للأيام التي لم أرك فيها، وأنتظر.

في سفينة شراعية حربية مثقوبة، تعرف أن وجهك قطعة يابسة
غابة، خليج صغير، مكان للقاء.

وتعرف أنه غير موجود. وتعرف كيف الباحة القديمة
وما عشناه نحن، وتقف عيناى عند فصل الواحة.

تعرف أن عينيك عميقتان عبر الزجاج المكسور
ولانهاية لهما، وآه يا مساء الأربعاء المنتظر.

فهمت أنك المكان الذي ضاع بيدي
وأنتك العمر القصير ليدي على بشرتك اللانهاية.

صوتك الذي لا ينادي مع هدير المساء والهواتف

تعرف كيفية هو عدم معرفة الجهات، تعرف
أن ما وراء عيني القط هو صحراء...

سوناتا II

في امتداد الصحراء
نبته منتشرة
تحب التمسك بالبحر
وهو مزدحم ومتمرد
وفي المدن المكسرة والناعمة
لا يُستطاع الوصول إليك
أقول إنه شتاء ينظر إلى هاوية.

يبقى الحلم في سفر الليل
تحت رماد نار متنقلة
وأملك يتعرف إلى شفتيك ولا يلمسهما
من أجل أن أقول لك مرة أخرى أحبك
أقول بيأس شهوتك المحاصرة.

المستيقظ وحيداً صباحاً بهمس الليل
والسائل والمتسائل عن الاحتمالات كلها
والمتدفق ظلّه من ممر مشقوق

من (قزل تبة) إلى (يدي تبة)
وبعصفور ميت أكلت عينيه
أقول إنه سوق متنقل ينتشر
وحده.

متين فندقجي

ولد في مدينة ماردين عام ١٩٦١. وبعد أن أنهى تعليمه الأول والمتوسط في ماردين، هاجر مع أسرته إلى أنقرة. درس الثانوية هناك، عمل موظفاً في البداية، ثم مترجماً في شركة تجارية، ثم خرج مبكراً إلى التقاعد وتفرغ للكتابة والترجمة.

مقيم في اسطنبول.

بدأ كتابة الشعر عام ١٩٨٠. وبالتوازي مع هذا بدأ بترجمة الشعر العربي، لتقدمه للقارئ التركي. ونشر أشعاره وترجماته الشعرية في كثير من دور النشر والمجلات الأدبية الكبرى. أكثر الشعراء العرب الذين اهتم بهم هم: أدونيس، محمود درويش، نزار قباني، نازك الملائكة.

لديه خمس مجموعات شعرية هي: "خرابا- ١٩٩٢"، "قلبي تحت الماء- ١٩٩٦" "مسافة القرنفل- ٢٠٠١"، "منسي- ٢٠٠٤"، "سترة من صحراء- ٢٠٠٦" ..

ساهم متين فندقجي بقوة في تقديم المشهد الشعري العربي للناطقين بالتركية، من خلال ترجمته للعديد من المجموعات الشعرية من العربية إلى التركية، منها: "أدونيس- (ثلاث مجموعات)، محمود درويش (أربع مجموعات شعرية)، "نزار قباني". نازك الملائكة

كما ترجم أعمالاً لعدد مختار من شعراء جيل الثمانينيات العرب، مثل المصري احمد الشهاوي والمغربية عائشة بصري والفلسطيني غسان زقطان، وأعد كتاباً بعنوان: "مختارات من الشعر العربي".